Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(4) ; March 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
18. 12 .2018	27.1.2019	15.3.2019

المكتبات بالعصر الاسلامي : دراسة توصيفية

The Libraries in Islamic age : describe action study

سمية يونس سعيد الخفاف، استاذ مساعد

جامعة الموصل ،كلية الآداب ، قسم المعلومات والمكتبات

Sumaya Younis Saeed Al-khafaf, Assistant Professor, Mosul University , College of Arts , Department of Libraries and Information.

الملخص

يستعرض البحث المكتبات في العصر الاسلامي فقد شهد العصر الاسلامي أنواعا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، ولقد انتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الاسلامية فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء، وفي المدارس والكتاتيب والجوامع.

تعد المكتبات في الحضارة الاسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي عني بها المسلمون وكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية بين المسلمين وفي العالم ،تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة ما يحتوي العصر الاسلامي من مكتبات زاخرة بالكتب والمعرفة ، اذ يهدف البحث الى التعرف على انواع المكتبات في العصر الاسلامي والتعرف على اهم المكتبات التي كان لها الدور البارز في الحضارة الاسلامية، منها المكتبات في العصر الاموي والعصر العباسي. كما تتطرق البحث الى مكتبة بيت الحكمة ومكتبة قرطبة في الاندلس، وتأتي اهمية الدراسة من اهمية المكتبات وتاريخها في العصر الاسلامي الذي انتشر فيه العلم ودور الكتب والتدوين لم تكن المكتبات مجرد خزائن للكتب بل كانت مؤسسات تعليمية وتربوية، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي والتاريخي للوصول الى نتائج كان اهمها :

١- شهد العصر الاسلامي تطور واضحا في مجال المكتبات وقد اعطى الخلفاء اهتماما واضحا بالكتب والمكتبات.

٢- في هذا العصر ازدهرت حركة التدوين، ونشط التأليف بشكل متحضر ومنهجي وبالتالي انتشرت المكتبات واتسعت.

٣- تأثرت الحركة والنشاط الاقتصادي بنشاط الحركة العلمية وشراء الكتب ونسخها، فقد ظهرت مهن جديدة كالوراقة والنسخ التي بمثابة صناعة النشر اليوم.

٤- أشهر المكتبات في الحضارة الاسلامية ومن أهمها مكتبة بيت الحكمة ببغداد ، ومكتبة قرطبة في الاندلس.

الكلمات المفتاحية: مكتبات ، العصر الاسلامي ، مكتبة بيت الحكمة ببغداد ، مكتبات المساجد.

Abstract

This research reviews the libraries in the Islamic age , so it witness the Islamic age different types from libraries never know any civilization before also this libraries spirited in all the Islamic states, so this libraries was found in palaces of caliphs , schools writing and mosques ,This libraries in Islamic civilization the most important cultural institution that Muslims take care of also it has great role in cultural and scientific life between Muslim and the world the problem of this study represent to know the includes of the Islamic age full of books and knowledge. This research aims to recognizes the different kinds of libraries in the Islamic age and also to recognizes the most important libraries that have big clud preeminent role in the Islamic civilization , Like the Umayyad period and Abbasid period also mentioned Al- Hkmaa Library and Qurtobaa Library in the Andalus .

The important of this study that the important of these Libraries and it's history in the Islamic are that breaded the science and the role blogged of look .Libraries were not only safes for books but it was science and education used by the researcher to Describe the system and the historical to reach to the important results .

1- The Islamic age witness clear develop and interest the caliphs interest clear with books and libraries.
2- In this age flourished the movement of writing and the active of author in civilization and so the libraries Expanded and speeded
3- The active and movement of economies affects by science movement and buying and copy books . so careers appeared papers and copying like publishing to day .
4- The most famous libraries in the Islamic civilization most important Bear Hkmaa in Baghdad and Qurtobaa Library in Al-Andalus.

Keywords: Libraries , Islamic age , Beat al Hkmaa in Baghdad , Mosques Libraries.

المدخل

الاطار العام للدراسة

١- اهداف البحث

١- التعرف على انواع المكتبات في العصر الاسلامي.

٢- التعرف على اهم المكتبات التي كان لها الدور البارز في الحضارة الاسلامية.

٣- التعرف على المكتبات في العصر الاموي.

٤- التعرف على المكتبات في العصر العباسي.

٥- التعرف على مكتبة بيت الحكمة ببغداد.

٢- مشكلة البحث

تعد المكتبات في الحضارة الاسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي عني بها المسلمون وكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية بين المسلمين وفي العالم. فالمكتبة في هذا العصر كانت أصلاً أصيلا في بنائها الثقافي وليس في وسع أحد أن يتصور حجم ما خطته أقلام العلماء والمفكرين والأدباء من المسلمين في شتى فروع المعرفة، حيث تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة ما يحتوي العصر الاسلامي من مكتبات زاخرة بالكتب والمعرفة ولم تكن المكتبات مجرد خزائن للكتب بل كانت مؤسسات تعليمية وتربوية ومدى اهتمام المسلمون بالكتب والمكتبات. فضلا عن مكتبات كان لها الدور الكبير في بناء الدولة مثل مكتبة بيت الحكمة ببغداد من هنا نستطيع القول ان الدراسة سوف تجيب الدراسة على التساؤلات الاتية:-

١- هل يوجد مكتبات في العصر الاسلامي ؟

٢- ماهي انواع المكتبات في العصر الاسلامي؟

٣- هل يوجد مكتبات في العصر الاموي والعصر العباسي ؟

٤- ماهي اهم المكتبات في العصر الاسلامي ؟

٣- اهمية البحث ونطاقه

المكتبات الاسلامية مرآة تنعكس فيها حياة المسلمين وبعد أن انتشر العلم والتعلم في البلاد الاسلامية واهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات ، فالكتاب وعاء المعرفة. حيث عرفت الحضارة الاسلامية أنواعا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، ولقد انتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الاسلامية فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء وفي المدارس والكتاتيب والجوامع، من هنا تأتي اهمية الدراسة كون المكتبات في العصور الاسلامية كانت البذرة الحقيقية لما تم أنشأوه من مكتبات فيما بعد .

٤- منهج البحث

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التاريخي من خلال الاطلاع على ادبيات الموضوع فضلا عن الاطلاع على مواقع الانترنت في هذا الموضوع .

٥- الدراسات السابقة

١- حمادة، محمد ماهر . المكتبات في الإسلام ، نشأتها وتطورها ومصائرها.

تتطرق الكتاب الى المكتبات ، التي كانت تتاح فيها استعارة الكتب للجميع، ، فكانت هناك مكتبة في كل مسجد واحتوت هذه المكتبات على كل أنواع الكتب الدينية والثقافية، وقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد ليضمنوا حفظها وإتاحتها للطلاب والدارسين فخلال مدة إقامة المسلمين الطويلة في الأندلس وجد العديد من المكتبات الملحقة بالمساجد والتي يستخدمها الناس الذين ليس لديهم مكتبات خاصة، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد لضمان حفظها وجعلها متاحة للطلاب الدارسين وكانت هذه المكتبات تمتلئ بالكتب القيمة ذات الخط الجميل والتجليد الرائع والمصاحف وكتب الفقه وعلم الكلام حيث كان من المساجد الشهيرة وتعقد فيه حلقات الدروس التي تجتذب الطلاب المسلمين والنصارى على السواء وقد بلغت شهرة مكتبتها اذ تعد مركز للثقافة إلى أقصى البلاد. ومكتبة المسجد الجامع بقرطبة التي أسسها الخليفة الأموي الحكم المستنصر سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م).[١]

٢- أعلام الحضارة العربية الاسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية.[٢]

تتطرق الكتاب الى المكتبات في عصر الدولة الاسلامية فقد كانت الكتابة والتدوين غير منتشرين أول الأمر، ولكن بسبب الحركة الدينية التي جاء بها الإسلام، وما فيها من حث على العلم والقراءة، وما نتج عن ذلك من حفظ للقرآن والحديث في الصحائف والكتب – بدأت تنتشر الكتابة، والمكتبات. كذلك نشطت حركة التدوين والتأليف وحفل العالم الإسلامي بالعلماء والبحاثة والمؤلفين الذين يكتبون ويؤلفون وينقلون، وكثرت المكتبات بشكل هائل وتنوعت أغراضها ووظائفها وزخر العالم الإسلامي بهواة جمع الكتب ومحبيها .توصلت الدراسة الى وجود العديد من المكتبات فضلا عن حركة النسخ والتدوين والتأليف.

[١] حمادة، محمد ماهر . المكتبات في الإسلام ، نشأتها وتطورها ومصائرها . بيروت .- منشورات مؤسسة الرسالة ،١٩٩٤.

[٢] حميدان ، زهير .أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية. دمشق.- منشورات وزارة الثقافة ،٢٠٠٥.

المكتبات بالعصر الاسلامي

١ – مقدمة

أن إحدى مميزات الحضارة الاسلامية أنها حضارة كتب ومكتبات وهي جوانب مهمة من الحضارة الاسلامية ، ساهمت تلك المكتبات بدور فعال في عملية الاتصال بين العلماء حيث عملت على إمداد المؤلفين بمصادر للمعلومات وكان لها تأثير على مؤلفاتهم فيما بعد. كما وفرت تلك المكتبات الكتب النادرة والموجودة في المشرق سواء توفرت هذه الكتب في مكتبات خاصة، أو شبه عامة، أو عامة.

لم تكن تلك المكتبات مجرد خزائن كتب، وإنما كانت مؤسسات تعليمية وتربوية أيضاً، فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات، وبالتالي أسهمت نصيب وافر في العملية التعليمية فكانت مكاناً لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم.

وعندما بدأوا المسلمين بتأسيس المكتبات ساروا على نمط مكتبات الفرس واليونان ، كما انهم تأثروا بهم في جمع الكتب وتأسيس المكتبات .

ظهرت المكتبات في الإسلام وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي فالمكتبات ساعدت على تطور هذه المجتمعات ودفعها في طريق الرقي والنجاح.

فقد حث القرآن الكريم المسلمين والمؤمنين على التعلم ومدح العلم والعلماء في أكثر من سوره في القرآن الكريم .

-((يا آبت أني قد جاءني من العلم ما لم يأتك)) سورة مريم /الآية ٤٣ .

-((ومن الناس من يجادل في الله بغير علم)) سورة الحج /الآية ٣ .

-((وانزل الله عليك الكتب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما")) سورة النساء /الآية ١١٣ .[٣]

ويمكن تعريف المكتبة من خلال الاتي:-

١- لقد عرفت منظمة اليونسكو المكتبة بأنها هي: كل مجموعة منظمة من الكتب المطبوعة والمطبوعات المسلسلة، أو أي وثائق أخرى – سمعية، بصرية.

[٣] حميدان : زهير .مصدر سابق. ص١٢٧.

من هنا يمكن القول بأن المكتبة تقوم بوظائف أساسية هي تخزين المعلومات ومعالجتها، وتسهيل الوصول إليها واسترجاعها، وقد جاء تعريف اليونسكو كنتيجة لواقع موجود منذ آلاف السنين التي كان فيها هدف المكتبة الرئيس هو جمع مصادر المعلومات في مكان واحد وحفظها لتبليغها إلى الأجيال القادمة.

٢- اما المكتبات في العصر الاسلامي فيمكن تعريفها : هي دارا لحفظ السجلات والمحفوظات.

٢- نشأة المكتبات في العصر الاسلامي

عزا المؤرخون ظهور المكتبات الأولى إلى الحضارات الأولى في بلاد الرافدين وأرض النيل حيث وجدت بها وثائق مكتوبة على الالواح الطينية في كل من بابل ونينوى بالعراق، وأشهر مكتبة هي مكتبة "آشور بانيبال" التي كانت داراً لحفظ السجلات والمحفوظات كما أن المصريين القدماء أسسوا مكتبات عديدة، منها: مكتبة رمسيس، ومكتبة أتفو، وساعد في ذلك وجود البردي التي كانت مصدر الكتابة في القديم، في مصر.

أما في عصر اليونان فقد بدأ التقدم الفِعلي للمكتبات وتزامن مع الفترة التي شهدت نشاط المفكرين والفلاسفة أمثال أرسطو وأفلاطون، فأسس بطليموس سوتر – أول ملوك أسرة الإسكندر الأكبر – في مصر مكتبة الإسكندرية، وهو أَعظم وأشهر حدث في تاريخ المكتبات من حيث أنظمة تصنيفها وخدماتها.

وجاء العصر الإسلامي فقد كانت الكتابة والتدوين غير منتشرين أول الأمر، ولكن بسبب الحركة الدينية التي جاء بها الإسلام، وما فيها من حث على العلم والقراءة، وما نتج عن ذلك من حفظ للقرآن والحديث في الصحائف والكتب – بدأت تنتشر الكتابة، ومن ثم المكتبات.

ومما لا شك فيه أن الحضارة الاسلامية عرفت بانها حضارة فكر وعلم ومكتبات، فيذكر أن أمين المكتبة كان مسماه الوظيفي "الخازن"، أما المكتبات فحظيت بأسماء كثيرة وأنواع متعددة، منها:- بيت الحكمة، خزانة الحكمة ، دار الحكمة ، دار العلم ، دار الكتب ،خزانة الكتب ،بيت الكتب .

فنميز هنا عبارات من نوع "بيت، خزانة، دار" إنما تدل على أنواع الأمكنة التي تخزن فيها المعرفة، أما العبارات "حكمة، علم، كتب" تدل على مواضيع هذه الأمكنة وتصلح لوصفها .

ومن المعلوم – لغويا – أن الدار أوسع وأكبر من البيت، فكلمة بيت تعني الغرفة أو الحجرة أما كلمة دار فهي تعني تجمع البيوت في مجمع واحد أو عمارة واحدة. ومن هنا يمكن أن نقول في الفرق بين المصطلحين من ناحية المكتبات فالمكتبة التي تحمل أسم البيت هي تمثل الخزائن التي تشغل قاعة واحدة أو عدة قاعات أما كلمة دار فهي تعني هنا المكتبة التي تحتوي عدة قاعات وتعج بالخزائن ومن هنا يمكننا أن نصنف تلك المكتبات حجما اعتمادا على هذه المسميات فالخزانة ترمز إلى المكتبات الشخصية الصغيرة والبيت ترمز إلى

المكتبات المتوسطة أما الدار فترمز إلى المكتبات الكبيرة ذات القيمة والأهمية العالية. واستخدم أيضا مصطلح "خزانة الكتب" للتعبير عن المكتبة التي تلحق بالقصور أو بمركز ثقافي كمساجد أو المدارس.

وعلى عكس المكان ونوعه، تختلف صفات المواضيع ليس حسب الأحجام بل حسب الزمان الذي انتشر فيه ذلك المصطلح، فكلمة الحكمة لطالما ارتبطت بالفلسفة، وخصوصا الفلسفة اليونانية التي ترجمت ونقلت إلى العربية في العهد الأموي والعباسي، فالمعرفة هنا هي معرفة قديمة مرتبطة بما تركه حكماء وفلاسفة اليونان القدامى وكلمة "حكمة" ارتبطت في المكتبات بأربعة مستويات: علوم الفيزياء والطبيعة، العلوم المدنية، علوم الرياضيات، علوم ما وراء الطبيعة.

أما كلمة العلم فهي عربية صرفة وعرفها العرب دوما على أنها كل معرفة دقيقة، أي أكثر تفصيلا من المصطلح العام "الحكمة" ودرج استعمال هذا المصطلح في فترات متقدمة من العصر العباسي .

في حين كلمة كتاب ما هي إلا مصطلح استخدم عوضا عن الحكمة والعلم في عصور متقدمة لم يعد فيها الكتب العامة ذات نفع بل أصبح التوجه نحو التخصص أمرا لازما فكانت كلمة "كتب" خير دلالة على مفهوم المواد العلمية بشكل عام .

ويمكن التأكيد على أن المكتبة في عصر الحضارة الاسلامية مرت بثلاثة مراحل وعصور أساسية:-

- عصر بيت الحكمة: تكون فيها المكتبة عبارة عن قاعة أو قاعات تكون فيها الحكمة أبرز الموضوعات.
- عصر بيت العلم: وفيه تتطور المكتبة لتصبح بناء مستقل تكون جميع أنواع العلوم أكثر تخصصا من ذي قبل (كما أنها قد تحمل أسماء من قبيل ،دار الكتب، دار الحكمة).
- عصر المكتبات الملحقة: أي تلك المكتبات ذات التخصص الدقيق الملحقة بالمؤسسات مثل المساجد.

كما عرف العالم الإسلامي أنواع اخرى من المكتبات مثل المكتبات الخاصة بالأفراد ومكتبات قصور الخلفاء، والمكتبات العامة، ومكتبات المدارس .

وكانت أهم المدن التي تضم المكتبات على مر تاريخ الحضارة الاسلامية، هي عاصمة الأمويين دمشق وعاصمة الرشيد ومكتبة الرشيد حيث بيت الحكمة، ودار الحكمة في القاهرة، والأندلس حيث الإشعاع الحضاري القرطبي ، ومكتبة دار السلام في بغداد .[٤]

[٤] أحمد علي اسماعيل علي .تاريخ بلاد الشام: دراسة اجتماعية اقتصادية فكرية وعسكرية.- مركز الشام للخدمات الطباعية: دمشق، ١٩٩٨.ص٣٠.

٣- أنواع المكتبات في الحضارة الاسلامية

عرفت الحضارة الاسلامية أنواعا متعددة من المكتبات، ولقد انتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الاسلامية، فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء، وفي المدارس، والكتاتيب، والجوامع، وكما وجدت في عواصم الامارات وجدت كذلك في القرى النائية، والأماكن البعيدة.

٣-١ المكتبات الخاصة

وقد انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع ، ومن أمثلتها مكتبة الصحابي عبدالله بن عباس ، ومكتبة الخليفة المستنصر، ومكتبة الفتح بن خاقان، ومكتبة ابن العميد، وغيرهم كثير.[٥]

٣-٢ المكتبات العامة

هي مؤسسات ثقافية، يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها ليكون في متناول المواطنين من كافة الطبقات والأجناس، والأعمار، والمهن، والثقافات. ومن أشهرها مكتبة بني عمار في طرابلس الشام، وكان لهم وكلاء يجوبون العالم الإسلامي بحثا عن الروائع لضمها إلى المكتبة، وكان بها خمسة وثمانون ناسخا، يشتغلون بها ليل نهار في نسخ الكتب.

٣-٣ المكتبات المدرسية

فقد اولت الحضارة الاسلامية اهتمامها لإنشاء المدارس من أَجل تعليم الناس جميعا، وقد ألحقت المكتبات بهذه المدارس، وهو الشيء الطبيعي المكمل لهذا الرقي والازدهار، وبشكل عام فقد انتشرت المدارس في الإسلام انتشارا واسعا في مدن العراق وسوريا ومصر وغيرها، وهذه المكتبات كانت عبارة عن خزائن كتب لتكون مرجعا لطلبة العلم ليقفوا على آخر ما صنف في فنون العلوم والآداب حتى عصرهم، وتسابق السلاطين والعلماء بل والمجتمع المدني من كبار التجار وغيرهن في إنشاء هذه المكتبات.

٣-٤ مكتبات المساجد والجوامع

هي تلك المكتبات التي أنشئت كملاحق في المساجد والجوامع ويعد هذا النوع من المكتبات الأول في الاسلام حيث نشأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد وقبل إنشاء المدارس بقرنين على الأقل، ومن أمثلتها مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير في القيروان بل اشتهر المسجد النبوي بمكتبة عامة كبيرة

[٥] العش ، يوسف .دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط ، ترجمة نزار أباظة ومحمد صباغ .- دار الفكر المعاصر: بيروت، ، ١٩٩١.ص٧٧.

كانت موقوفة على طلبة العلم من المجاورين، وكذلك اشتهر الجامع الأموي بدمشق بخزانة كتبه الفريدة بل بعدة خزائن كتب مكتبات، كانت موقوفة على كل من يريد المطالعة والتعلم.[٦]

وفاقت مكتبات الجوامع في الأندلس نظيرتها في المشرق الإسلامي، ويعد المسجد الكبير في قرطبة واحداً من أكبر الجوامع وأعظمها، وقد احتوى هذا المسجد الشهير الذي أنشأه الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) على مجموعة كبيرة من الكتب والمصاحف.

٣-٥ مكتبات العلماء

وما أكثر وأجل مكتبات العلماء في الحضارة الاسلامية وإنك لترى حرصهم على إنشاء مكتباتهم الخاصة والعامة دون كلل، ومهما كان درجة المال المنفق عليها، أما مكتبات العلماء الخاصة فأكثر من أن تحصى، فقد كانوا يعتمدون على هذه المكتبات في اطلاعهم وتأليفهم فهذا الحافظ الأبيوردي زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد الصوفي الشافعي (ت ٦٦٧هـ/١٢٦٨م)، خرج لنفسه معجما عن مشايخه الذين سمع منهم، وقد قام بوقف كتبه. والشيخ يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهوري النحوي (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م) كانت عنده مكتبة أوقفها على الجامع الظاهري بالقاهرة.[٧]

بعد الحديث عن انواع المكتبات لابد من التعرف على المكتبات في العصور الاسلامية ومنها العصر الاموي:-

٤- المكتبات في العصر الأموي

في عصر الأمويين انتشرت حركة التدوين، وظهرت أول المدونات في العلوم المتفرقة، وعلى رأسها تدوين الحديث الشريف، والتفسير، واللغة، والشعر، والسيرة، والتاريخ. وكانت الكتابة تتم في العصر الأموي على القراطيس المصنوعة بمصر من لب البردى، وكان اختراع الورق أو الكاغد عاملا" حاسما" في نشر المعرفة وغزارة المؤلفات وبدا عهد ازدهار الكتب والمكتبات في الإسلام .

وبدأت عملية النقل من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية في فترة خلافة خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز في دمشق خلال القرن الأول الهجري، بل إن خالد بن يزيد بن معاوية كان أول من ترجم الكتب الأجنبية إلى العربية، فكان في مكتبته كتب في علم الفلك والطب والكيمياء من أشهر المكتبات في هذا العصر مكتبة

[٦] الصوفي ،عبد اللطيف . لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- دار طلاس للطباعة والترجمة: الجزائر، ١٩٨٧.ص ٢١١.

[٧] منصور محمد سرحان . المكتبات في العصور الاسلامية .- البحرين- مكتبة فخراوي.١٩٩٧ .ص٥٩.

الصحابي الجليل عبدالله بن عباس. ولا ننسى في هذا العصر العلامة ابن شهاب الزهري الذي ملا الدنيا بمصنفاته وتأليفه.[٨]

ونستطيع أن نجمل مميزات العصر الأموي بأنه وضعت فيه جميع البذور الأولى للحضارة الاسلامية والكتاب الإسلامي والمكتبات الاسلامية ، فقد دون القرآن الكريم ووزع على الأمصار وبدأت عملية جمع الحديث الشريف وبدأت عملية نقل الكتب من اللغات الأخرى إلى العربية وبدأت الدراسات الفقهية وجمعت الأنساب والأشعار .

وكانت دمشق أول عاصمة أنشئت فيها دار ترجمه فالشام أول سوق نفقت فيها بضاعة العلم والأدب، وللشامين منذ القدم ميل إلى النقل عن الأمم الأخرى هكذا فعلوا في كل قرن ، فقد كان الناقلون منهم في القرنين الأول والثاني وكذلك في القرون التالية وهم اقدر على تعلم اللغات .

وفي زمن الخليفة عبد الملك بن مروان تم نقل الدواوين من اليونانية إلى العربية في سوريا ومن الفارسية إلى العربية في العراق وبلاد فارس ، ومن القبطية إلى العربية في مصر على يد عامل الخليفة على مصر عبد العزيز بن عبد الملك .

استمرت عملية النقل في زمن الخلفاء الأمويين وصدر الخلافة العباسية وتذكر كتب التاريخ بان جبله بن سالم كاتب الخليفة هشام بن عبد الملك كان ينقل من اللغة الفارسية إلى العربية .

من هنا نستطيع القول ان العصر الاموي كان عصر تميز فيه العلم والنقل من كل البلاد حيث دون فيه القران الكريم وعلوم الحديث.

بعد الحديث عن العصر الاموي وما يضم من مكتبات لابد من التطرق الى العصر العباسي :-

٥- المكتبات في العصر العباسي

يعد هذا العصر من العصور التي ازدهرت حركة التدوين، ونشط التأليف بشكل متحضر ومنهجي، وبالتالي انتشرَت المكتبات واتسعَت، ودخلت بعضها في نوادر وحكايات التاريخ.

ويعد عصر الرشيد والمأمون العصر الذهبي لعملية النقل من سائر اللغات إلى العربية ، فقد اصبح هذا العمل في زمانهما عملا رسمياً تتولاه الدولة وتنفق عليه من موازنتها وتحشد له اعظم النقلة والعلماء والمفكرين وتؤسس المؤسسات العلمية وتراسل الملوك والحكام من اجل الحصول على الكتب والمخطوطات وترسل البعثات في طلب الكتب العلمية والطبية والفلسفية .

[٨] الخطيب ،محمد عجاج ، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر .بيروت. دار العلم للملايين .١٩٧١.ص٢٩١.

لقد أسس الرشيد مؤسسة كبرى للقيام بهذا العمل الجليل وهي مؤسسه كان عملها أول الأمر النقل ثم تطورت زمن المأمون وأصبحت مؤسسه علمية من الطراز الممتاز واطلق عليها " بيت الحكمة " وأصبحت في فترة خلافة المأمون أكاديمية بالمعنى العلمي تحتوي على أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب والنقل والتأليف .

لقد تنوعت المكتبات التي وجدت في تلك الفترة ، فقد وجدت المكتبات بالمساجد والمكتبات الخلافية والخاصة والمكتبات العامة ومكتبات الأوقاف والأكاديمية فضلا عن المكتبات التي تلحق بالترب والمقابر وخاصة قبور العظماء والخلفاء والأغنياء .

لقد أهتم خلفاء بغداد بالعلم والمدارس والمكتبات كل الاهتمام فهذا الخليفة الناصر لدين الله فقد كان محبا" للعلم جامعا" للكتب أعتنى بالمكتبات وأسس المكتبة النظامية عندما أعاد عمارتها ونقل لها آلاف الكتب النفيسة وأيضا" انشا الرباط المعروف بالرباط الظاهري غربي بغداد ونقل أليه كتباً كثيرة كما أنه أهتم بتغذية الخزائن الخليفية التي كانت موجودة وأشترى لها الكتب ونظمها أحسن التنظيم.

أما الخليفة المستنصر بالله الذي تولى الخلافة بعد الناصر فقد ورد عنه حبه للعلم والعلماء واهتمامه بالكتب والمكتبات حيث أسس المدرسة المستنصرية والتي أصبحت في وقتنا الحاضر الجامعة المستنصرية وقد أرتبط أسمه بهذه المؤسسة .

أما الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسين فقد أنشأ خزانتين للكتب نقل إليهما نفائس الكتب ، وكان الخليفة يجلس بعض الوقت في الخزانتين بالتناوب وهاتين الخزانتين أقيمتا في دار الخلافة الخاصة .

لم يكن للمكتبات في بادئ الأمر أبنية خاصة بها مثل مكتبة بيت الحكمة أما بالنسبة لمكتبة دار العلم في بغداد والتي أسسها سابور بن أرديشر فقد كان لها دوراً خاصة بها وكذلك المكتبات الأخرى في البصرة والموصل .كما ألحق بالمكتبة غرفة أو أكثر أعدت للنسخ وجهزت بجميع ما يحتاجه الناسخ إضافة الى تزويد المكتبات بالبسط والسجاد والستائر وكافة أنواع الأثاث اللازم .

أما بالنسبة للفهرسة فقد أهتم المسلمون بفهرسة الكتب في المكتبات التي إنشاؤها وتصنيفها وتنظيمها حتى يسهل على الباحثين والدارسين تناولها واستعمالها .

والفهارس نوعان أما أن تكون مكتوبة في مجلدات أو تكون أسماء الكتب والمؤلفين مكتوبة على لوائح تعلق على مداخل أقسام المكتبة .

وفي العصر العباسي ضمت كتبا من مختلف العلوم التراث الإسلامي، التراجم والسير، كتب الكيمياء، الفلك، الطب والجبر واحتوت على مرصد فلكي، وقد وصفها "ديورانت" في كتابه قصة الحضارة بأنها مجمع علمي، ومرصد فلكي، ومكتبة عامة. ولا يجب أن نهمل الانعكاس الإيجابي على الاقتصاد لنشاط الحركة العلمية

وشراء الكتب ونسخها، فقد ظهرت مهن جديدة كالوراقة والنسخ التي هي بمثابة صناعة النشر اليوم بفضل رواج سوق الكتب، فقد غصت بغداد بدكاكين الوراقين الذين ينسخون الكتبَ ويبيعونها للناس، وقد اشتهرت بغداد بعدد مكتباتها حيث يقال إنها بلغت ١٠٠ مكتبة، فأصبحت بغداد قبلة العلم آنذاك.[٩]

٥-١ اهم المكتبات في العصر العباسي

١- مكتبة بيت الحكمة

من أشهر وأعظم المكتبات الاسلامية وقد حرص الخلفاء العباسيون على جمع نفائس الكتب ونوادرها من المؤلفات العربية والمترجمة عن اللغات المختلفة وقد عمل بها مترجمون ونساخون وخطاطون ومجلدون ، أنشاها أبو جعفر المنصور وتوسعت في عصر الرشيد وازدهرت في عصر المأمون ، وكان من أبرز العاملين بها سهل بن هارون وحنين بن إسحاق والخوارزمي ، وقد وجدت بها حجرات ليستخدمها العلماء والمؤلفون ، ولم تكن مجرد مخزن للكتب بل كانت مركزاً للبحث والدراسة ، وهي أول مكتبة أكاديمية وعامة تقام في البلاد الاسلامية، ويرجع المؤرخون أوليةَ تأسيسها إلى الخليفة هارون الرشيد، الذي ازدهرت في عصره حركة التأليف والترجمة، والتي كان مقرها دار الحكمة، ترجمت في هذه الفترة الكثير من نفائس العلوم من الفارسية واليونانية ولغات أخرى، وكانت حركة الترجمة هذه عظيمة حيث لم يشهد مثلها التاريخ من قبل مما حفظ للإنسانية تراثا قيما، بالإضافة إلى أنها كانت مقر الدرس والمطالعة والبحث، وكانت تقام بها مناظرات ومناقشات.[١٠]

وتعد مكتبة بيت الحكمة أكبر مكتبات العصر العباسي، ظلت الخزانة قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم وكانت بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة أو النسخ أو الدرس أو التأليف ، فيجلس النساخ في أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجور وكذلك المترجمون والمطالعون والمؤلفون وتحوي فريقاً من المجلدين همهم الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال ومن هؤلاء المجلدين يرد أسم ابن أبي الحريش وأيضاً أسم علان الشعوبي وقد كان المشرف على النسخ وهو المسؤول عن تزويد المكتبة بالكتب الجديدة وما يلزم العمل من أوراق ومحابر وغيرها .

كانت دكاكين الوراقين مكاناً يلتقي فيه الأدباء والعلماء والفضلاء يتذاكرون فيه الحوادث ويتناشدون الأشعار ويتجادلون ويتساجلون ويبحثون آخر الأنباء والاخبار الأدبية .

[٩] حمادة ،محمد ماهر. المكتبات حول العالم: تاريخها وتطورها حتى مطلع القرن العشرين.-الرياض: دار العلوم، ١٩٨١.ص ٨٠.

[١٠] محمد محمد امان . الكتب الاسلامية .- الرياض.- مكتبة الملك فهد الوطنية.١٩٩٠.ص٧٢.

وقد ساعد على ازدهار الحركة العلمية وانتشار التأليف والنقل اختراع الورق وانتشار استعماله بدأ من عصر الرشيد والمأمون فكان أول مصنع للورق في بغداد في محلة (دار القز).

أن اختراع الورق وانتشار استعماله في أوربا من النعم التي أنعمت بها الحضارة الاسلامية على العالم وساعد على نشر العلم ومحو الجهل وأناره معالم الطريق أمام الأجيال ، كما أن ذلك الاختراع أدى إلى ظهور طبقة من الوراقين وقد لعبوا دوراً مهما في تاريخ الحضارة الاسلامية.

وعمل الوراقين في ذلك الوقت يشابه دور النشر في وقتنا الحاضر حيث يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وبيعها فانتشرت دكاكين الوراقين وأصبح لهم شهرة واسعة وأصبحت دكاكينهم أشبه بمراكز ثقافية أو الصالونات الأدبية حيث يلتقي بها الأدباء وتعقد جلسات المناظرة والمناقشة .

وإذا تطرق الحديث بنا إلى إدارة المكتبة فقد وصفت تحت إدارة ثلاث أشخاص الأول المشرف الأعلى أو الوكيل وأمين المكتبة ويطلق عليه الخازن ومساعد يطلق عليه المشرف كما تم تحديد ما يتقاضاه العاملين بالمكتبة شهرياً .

أما بالنسبة للموازنة الخاصة بالمكتبات فلا توجد سجلات كافية يستدل منها معرفة موازنة هذه المكتبات الا أنه كان ينفق عليها أموالاً كثيرة خاصة عمليات النسخ والحصول على المخطوطات ، هذا فضلا عن ما يوقف من الأوقاف السخية على هذه المكتبات حتى يضمنوا استمراريتها في أداء عملها .

استمراريتها وحسن أدائها لمهامها التي وجدت من أجلها وعلى سبيل المثال لا الحصر فأن الخليفة المأمون كان ينفق بسخاء على مؤسسته (بيت الحكمة) حيث أنه كان يعطي النقلة (نقل الكتب من لغة الى أخرى) زنة كل كتاب ذهباً.

أما بالنسبة للإعارة فقد كانت موجودة سواء أكانت إعارة خارجية أم داخلية ، ولكنها كانت تختلف من جهة إلى جهة أخرى ومن واقف إلى أخر ، حتى جرت العادة أن الأدباء كانوا يستعيرون من بعضهم البعض.

وقد حرص القائمين على أمور المكتبات بتوفير المستلزمات الضرورية كالأوراق والحبر مجاناً لمن أرادو الاستنساخ ومن هنا يتبين لنا عناية الخلفاء والأغنياء بضمان استمرار ما غرسوه وما قدموه .

واغلب الظن ان بيت الحكمة أستمرت موجودة طوال العهد العباسي إلى أن دهم التتار بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وقتلوا المستعصم آخر خلفاء بني العباس فذهبت خزانة الكتب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها . فقد أتلفوها حيث نهبوا وخربوا، وألقوا بالآلاف من المخطوطات في النهر، فأصبحت مياه النهر سوداء من لون المداد وبذلك ضاع جزء كبير من تاريخ وذاكرة الانسانية في هذه الواقعة ووقائع مشابهة. [١١]

[١١] الحلوجي ،عبد الستار. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، ١٩٩١.ص٩٩.

٢- مكتبة قرطبة

اسسها الخليفة الاموي الحكم المستنصر بالله سنة ٣٥٠ هـ ثم أخذت تتسع وتنمو أثناء حكمه حتى بلغت شهرة عالمية ، وقد حققت هذه المكتبة أوج شهرتها في عهد ابنه الحكم الثاني المستنصر الذي أفاد من قوة الدولة أثناء حكم والده ، ومن توفر الأموال والرفاهة ، فضلاً عن ثقافته الواسعة ، ومحبته للعلم ، في دعم هذه المكتبة ، فأنفق عليها ، وجلب إليها الكتب من كل قطر ، ومن بين الكتب التي اقتناها كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، وأرسل إلى مؤلفه مبلغ ألف دينار من الذهب العين ثمناً له ، قال عنه ابن خلدون : كان محباً للعلوم ، مكرماً لأهلها ، جامعا للكتب في أنواعها ، ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. فأقام للعلم والعلماء سلطاناً نفقت فيه بضائعه من كل قطر . وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويسرب إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه وقد حوت هذه المكتبة حوالي ٤٠٠ ألف مجلد ، وكان الحكم يستخدم الكثير من هذه الكتب ، يقرأ فيها ، ويدون ملاحظاته وتعليقاته على هوامش المخطوطات ، مما جعلها ذات أهمية عظيمة في نظر العلماء ، كما كان لهذه المكتبة أثر واسع في نشر الفلسفة اليونانية والرياضيات والعلوم الطبيعية والطب وغيرها من العلوم .

عين للمكتبة موظفين للعناية بشؤونها، وجمع فيها النساخ، وعدداً كبيراً من المجلدين، وقد كانت لها عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعا وأربعين فهرساً، ، في كل واحدة منها خمسون ورقة ، عشرون منها خصصت للدواوين الشعرية فقط. وقد ظلت محط أنظار العلماء وطلاب العلم في الأندلس، وقد وفد إليها الأوربيون للنهل من معينها، والتزود من علومها، للأسف كان مصير هذه المكتبة ، نفس مصير المكتبات المشرقية الحرق والسلب والنهب والتخريب ، ذلك أنه بعد وفاة الحكم ولى الأندلس المنصور بن أبي عامر ، وقد أراد أن يرضي العامة والفقهاء في زمانه فأخرج من المكتبة جميع الكتب الفلسفية وكتب علوم الأوائل وأضرم فيها النار في الميدان العام في قرطبة .[١٢]

٦- نتائج البحث:-

١- عزا المؤرخون ظهور المكتبات الأولى إلى الحضارات الأولى في بلاد الرافدين وأرض النيل حيث وجدت بها وثائق مكتوبة على الألواح الطينية في كل من بابل ونينوى بالعراق.

٢- شهد العصر الاسلامي تطور واضحا في مجال المكتبات وقد اعطى الخلفاء اهتماما واضحا بالكتب والمكتبات.

[١٢] أحمد علي اسماعيل علي. مصدر سابق.ص٢٩٨.

٣- تأثرت الحركة والنشاط الاقتصادي بنشاط الحركة العلمية وشراء الكتب ونسخها، فقد ظهرت مهن جديدة كالوراقة والنسخ التي بمثابة صناعة النشر اليوم.

٤- في هذا العصر ازدهرت حركة التدوين، ونشط التأليف بشكل متحضر ومنهجي وبالتالي انتشرت المكتبات واتسعت.

٥- أشهر المكتبات في الحضارة الاسلامية ومن أهمها مكتبة بغداد بيت الحكمة، ومكتبة قرطبة في الاندلس.

٦- حرص القائمين على أمور المكتبات بتوفير المستلزمات الضرورية كالأوراق والحبر مجانا لمن أرادو الاستنساخ ومن هنا يتبين لنا عناية الخلفاء والأغنياء بضمان استمرار المكتبات.

٧- بيت الحكمة، هي أول مكتبة أكاديمية وعامة تقام في البلاد الاسلامية، ويرجع المؤرخون أولية تأسيسها إلى الخليفة هارون الرشيد، الذي ازدهرت في عصره حركة التأليف والترجمة.

٨- تعد مكتبات المساجد والجوامع، اول المكتبات من حيث النشأة ومن أمثلتها: مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير في القيروان.

٩- لم تكن تلك المكتبات مجرد خزائن كتب، وإنما كانت مؤسسات تعليمية وتربوية أيضاً، فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات، وبالتالي أسهمت نصيب وافر في العملية التعليمية فكانت مكاناً لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم.

١٠- تنوعت المكتبات في العصر الاسلامي فكان هناك مكتبات عامة ومدرسية ومكتبات خاصة .

١١- تبين للباحثة مدى اهتمام الحضارة الاسلامية بالكتب والمكتبات فضلا عن ما كانت تحوية من امهات الكتب والمراجع القيمة التي كانت ومازالت حضارة يشهد لها التاريخ .

قائمة المصادر والمراجع

١- الحلوجي ،عبد الستار. لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، ١٩٩١.

٢- أحمد علي اسماعيل علي .تاريخ بلاد الشام: دراسة اجتماعية اقتصادية فكرية وعسكرية.- مركز الشام للخدمات الطباعية: دمشق، ١٩٩٨.

٣- العش ، يوسف .دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط ، ترجمة نزار أباظة ومحمد صباغ .- دار الفكر المعاصر: بيروت، ، ١٩٩١.

٤- الصوفي ،عبد اللطيف . لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- دار طلاس للطباعة والترجمة: الجزائر، ١٩٨٧.

٥- الخطيب ،محمد عجاج ، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر .بيروت. دار العلم للملايين .١٩٧١.

٦- حمادة، محمد ماهر . المكتبات في الإسلام ، نشأتها وتطورها ومصائرها . بيروت .- منشورات مؤسسة الرسالة ،١٩٩٤.

٧- حمادة ،محمد ماهر. المكتبات حول العالم: تاريخها وتطورها حتى مطلع القرن العشرين.- الرياض: دار العلوم، ١٩٨١.

٨- حميدان ، زهير .أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية. دمشق.- منشورات وزارة الثقافة ،٢٠٠٥.

٩- محمد محمد امان . الكتب الاسلامية .- الرياض.- مكتبة الملك فهد الوطنية.١٩٩٠.

١٠- منصور محمد سرحان . المكتبات في العصور الاسلامية .- البحرين- مكتبة فخراوي.١٩٩٧.